تفسير السعدي

2 ! @ 473 @ 2 ! يقول تعالى : ^ (وكذلك بعثناهم من نومهم الطويل ، ليتساءلوا بينهم) ^ ، أي : ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة ، من مدة لبثهم . ! 2 2 ! وهذا مبني على ظن القائل ، وكأنهم وقع عندهم اشتباه . في طول مدتهم ، فلهذا ! 2 2 ! . فردوا العلم إلى المحيط علمه بكل شيء ، جملة وتفصيلا . ولعل ا تعالى بعد ذلك أطلعهم على مدة لبثهم ، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم ، وأخبر أنهم تساءلوا ، وتكلموا بمبلغ ما عندهم ، وصار آخر أمرهم ، الاشتباه . فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا ، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم ، وأنه لا يفعل ذلك عبثا . ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة في الأمور المطلوب علمها ، وسعى لذلك ما أمكنه ، فإن ا يوضح له ذلك ، وبما ذكر فيما بعده من قوله . ! 2. ! 2 فلولا أنه حصل العلم بحالهم ، لم يكونوا دليلا على ما ذكر ، ثم إنهم لما تساءلوا بينهم ، وجرى منهم ما أخبر ا به ، أرسلوا أحدهم بورقهم ، أي : بالدراهم ، التي كانت معهم ، ليشتري لهم طعاما يأكلونه ، من المدينة ، التي خرجوا منها ، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه ، أي : أطيبه وألذه ، وأن يتلطف في ذهابه وشرائه ، وإيابه ، وأن يختفي في ذلك ، ويخفي حال إخوانه ، ولا يشعرن بهم أحدا . وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم ، وظهورهم عليهم ، أنهم بين أمرين ، إما الرجم بالحجارة ، فيقتلونهم أشنع قتلة ، لحنقهم عليهم وعلى دينهم ، وإما أن يفتنوهم عن دينهم ، ويردوهم في ملتهم . وفي هذه الحال ، لا يفلحون أبدا ، بل يخسرون في دينهم ودنياهم وأخراهم ، وقد دلت هاتان الآيتان ، على عدة فوائد منها : الحث على العلم ، وعلى المباحثة فيه ، لكون ا بعثهم لأجل ذلك . ومنها : الأدب فيمن اشتبه عليه العلم ، أن يرده إلى عالمه ، وأن يقف عند حده . ومنها : صحة الوكالة في البيع والشراء ، وصحة الشركة في ذلك . ومنها : جواز أكل الطيبات ، والمطاعم اللذيذة ، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله : ^ (فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم رزق منه) ^ . وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك . ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين ، القائلين بأن هؤلاء ، أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة ، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها . ومنها : الحث على التحرز ، والاستخفاء ، والبعد عن مواقع الفتن في الدين ، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين . ومنها : شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين ، وفرارهم من كل فتنة ، في دينهم ، وتركهم أوطانهم في ا . ومنها : ذكر ما اشتمل عليه الشر ، من المضار والمفاسد ، الداعية لبغضه ، وتركه . وأن هذه الطريقة ، هي طريقة المؤمنين المتقدمين ، والمتأخرين لقولهم : ! 22 ! . ! 2 ! 2

يخبر ا تعالى ، أنه أطلع الناس على حال أهل الكهف ، وذلك وا أعلم بعدما استيقظوا ، وبعثوا أحدهم ، يشتري لهم طعاما ، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء ، فأرادا أمرا ، فيه صلاح للناس ، وزيادة أجر لهم ، وهوأن الناس رأوا منهم آية من آيات ا ، المشاهدة بالعيان ، على أن وعد ا حق لا شك فيه ولا مرية ولا بعد ، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم ، فمن مثبت للوعد والجزاء ، ومن ناف لذلك ، فجعل قصتهم ، زيادة بصيرة ويقين للمؤمنين ، وحجة على الجاحدين ، وصار لهم أجر هذه القضية . وشهر ا أمرهم ، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم . ! 2 2 ! ا أعلم بحالهم ومآلهم . وقال من غلب على أمرهم وهم الذين لهم الأمر : ! 2 2 ! أي : نعبد ا تعالى فيه ، ونتذكر به أحوالهم ، وما جرى لهم . وهذه الحالة محظورة ، نهى عنها النبي صلى ا عليه وسلم ، وذم فاعليها ولا يدل ذكرها هنا ، على عدم ذمها ، فإن السياق في شأن أهل الكهف والثناء عليهم ، وأن هؤلاء وصل بهم الحال إلى أن قالوا : ابنوا عليهم مسجدا بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم ، وحذرهم من الاطلاع عليهم ، فوصلت الحال إلى ما ترى . وفي هذه القصة ، دليل على أن من فر بدينه من الفتن ، سلمه ا منها . وأن من حرص على العافية . عافاه ا ، ومن أوى إلى ا ، آواه ا ، وجعله هداية لغيره . ومن تحمل الذل في سبيله ، وابتغاء مرضاته ، كان آخر أمره وعاقبته ، العز العظيم ، من حيث لا يحتسب ! 2 2 ! . ^ (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مرآء ظاهرا